بسم الله الرحمن الرحيم

آيَاتُ اللهِ فِي بَدْرٍ 16 رَمَضَانَ 1447هـ

أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ مِنَ الزَّمَنِ، وَمَعَ هَذَا الْكَرْبِ الشَّدِيدِ الَّذِي أَلَمَّ بِالْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ؛ حَيْثُ هَذِهِ الْحُرُوبُ الْفَتَّاكَةُ، وَتِلْكَ الْفِتَنُ الْخَطَّافَةُ، الَّتِي يَشُنُّهَا عَلَيْنَا أَعْدَاءُ اللهِ الْيَهُودُ وَمَنْ عَاوَنَهُمْ، مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ اسْتِلْهَامِ الْعِبَرِ وَالْعِظَاتِ مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَيَّامِهِ وَسُنَنِهِ؛ فَفِي ذَلِكَ السَّلْوَىٰ مِنْ كُلِّ بَلَاءٍ، وَالتَّسْلِيَةُ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ فِي سِيرَتِهِ ﷺ يَوْمُ مَوْقِعَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَحْدَاثِ السِّيرَةِ، فَفِيهَا كَانَ الْفُرْقَانُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مِثْلِ يَوْمِ غَدٍ، السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ قَبْلَ أَرْبَعِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ السِّنِينَ. يَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمُ الْفُرْقَانِ، يَوْمٌ نَصَرَ اللهُ فِيهِ جُنْدَهُ وَهُمْ قِلَّةٌ، عَلَىٰ رُؤُوسِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَهُمْ كَثْرَةٌ؛ حَيْثُ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي ثَلَاثِ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، عَلَىٰ فَرَسَيْنِ وَسَبْعِينَ بَعِيرًا؛ لِمُلَاقَاةِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ بَلَغُوا نَحْوَ أَلْفِ رَجُلٍ، مَعَهُمْ مِائَةُ فَرَسٍ، وَسَبْعُ مِئَةِ بَعِيرٍ، بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَمَعَهُمُ الْقِيَانُ يُغَنِّينَ بِهِجَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ أَشْقَاهُمْ أَبُو جَهْلٍ: وَاللهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّىٰ نَبْلُغَ بَدْرًا، وَنُقِيمَ فِيهِ ثَلَاثًا، نَنْحَرُ الْجَزُورَ، وَنُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَنَسْقِي الْخَمْرَ، وَتَسْمَعُ بِنَا الْعَرَبُ، فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي الْأَمْرِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ وَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ وَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، امْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللهُ، فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَىٰ بَرْكِ الْغِمَادِ – يَعْنِي: الْحَبَشَةَ– لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّىٰ نَبْلُغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ»، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: لَعَلَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «أَجَلْ» قَالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَىٰ ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَىٰ بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا

لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ، لَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ تَعَالَىٰ. ثُمَّ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ وَصَلَ مَكَانَ الْغَزْوِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا»، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِّ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُقْدِمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ - أَيْ: جَيْبِهِ -، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ. وَبُنِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الْعَرِيشُ عَلَىٰ تَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَىٰ مَيْدَانِ الْحَرْبِ، وَأَنْزَلَ اللهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَطَرًا كَانَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَابِلًا شَدِيدًا، وَوَحَلًا زَلَقًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّقَدُّمِ، وَكَانَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ طَلًّا طَهَّرَهُمْ، وَوَطَّأَ لَهُمُ الْأَرْضَ، وَشَدَّ الرِّمَالَ، وَمَهَّدَ الْمَنَازِلَ، وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ، وَغَشَاهُمُ النُّعَاسُ، فَطَمْأَنَ قُلُوبَهُمْ، وَأَرَاحَ نُفُوسَهُمْ، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾. وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُلِحُّ عَلَىٰ رَبِّهِ بِالدُّعَاءِ، كَمَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ. وَلَمَّا نَظَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صُفُوفَ جَيْشِهِ، وَأَصْدَرَ أَوَامِرَهُ لَهُمْ وَحَرَّضَهُمْ عَلَىٰ الْقِتَالِ، رَجَعَ إِلَىٰ الْعَرِيشِ الَّذِي بُنِيَ لَهُ وَمَعَهُ صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَعَلَىٰ بَابِ الْعَرِيشِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِحِرَاسَتِهِ، وَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَةَ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَخَذَتْ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ وَأَطْرَافِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ، كما قال الله ﷻ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَنِّي

مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾. لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ عَلَّامَةُ مِصْرَ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَىٰ الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنَ الْعِبَرِ وَالْعِظَاتِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ:

الْأُولَىٰ: النَّصْرُ لَيْسَ بِالْقِلَّةِ وَلَا بِالْكَثْرَةِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

الثَّانِيَةُ: تَقْوَىٰ اللهِ مَعَ الصَّبْرِ سَبَبٌ فِي تَأْيِيدِ اللهِ ﷻ لِعِبَادِهِ وَنُصْرَتِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

الثَّالِثَةُ: حِرْصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ اسْتِشَارَةِ أَصْحَابِهِ فِي الْغَزْوَةِ، وَهَذِهِ سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ الْقَائِدِ النَّاجِحِ الْحَاذِقِ، فَلَمْ تَمْنَعْهُ مَكَانَتُهُ ﷺ أَنْ يَسْتَشِيرَهُمْ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

أَيُّهَا الصَّائِمُونَ: إِنَّ الِانْتِصَارَ عَلَىٰ شَهَوَاتِ النَّفْسِ، وَحُبِّهَا لِلْكَسَلِ وَالدَّعَةِ وَالتَّرَاخِي لَهُوَ أَعْظَمُ الِانْتِصَارِ، فَإِنَّ أَمَامَنَا بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مَيْدَانُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، أَعْظَمُ لَيَالِي الْعُمُرِ، فِيهَا لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، كَمَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِلنَّصْرِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ أَسْبَابًا يَجِبُ عَلَيْنَا الْأَخْذُ بِهَا إِذَا مَا أَحْبَبْنَا أَنْ يَنْصُرَنَا اللهُ ﷻ، وَمِنْهَا:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِاللهِ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

الثَّانِي: الثَّبَاتُ فِي الْقِتَالِ، وَذِكْرُ اللهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

الثَّالِثُ: الِاجْتِمَاعُ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَعَدَمُ التَّنَازُعِ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

الرَّابِعُ: نُصْرَةُ دِينِ اللهِ، وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

الْخَامِسُ: الْإِلْحَاحُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الدُّعَاءِ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾. وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَسْتَغِيثُ بِهِ فِي مَعَارِكِهِ؛ فَيَنْصُرُهُ وَيَمُدُّهُ بِجُنُودِهِ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ. وَفِي يَوْمِ الْأَحْزَابِ دَعَا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْأَحْزَابِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ». وَهَذَا دَأْبُهُ ﷺ فِي غَزَوَاتِهِ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ». قَوْلُهُ ﷺ:«بِكَ أَحُولُ» أَيْ أَصْرِفُ كَيْدَ الْعَدُوِّ، وَأَحْتَالُ لِدَفْعِ مَكْرِهِمْ. وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَبِكَ أَصُولُ» أَيْ: أَحْمِلُ عَلَىٰ الْعَدُوِّ حَتَّىٰ أَغْلِبَهُ وَأَسْتَأْصِلَهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: كَانَ نَبِيُّكُمْ ﷺ يَحْرِصُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَىٰ الِاعْتِكَافِ،- وَهُوَ لُزُومُ الْمَسْجِدِ لِطَاعَةِ اللهِ وَجَلَّ -، فَاعْتَكَفَ ﷺ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُعْتَكِفَ ذِكْرُ اللهِ أَنِيسُهُ، وَالْقُرْآنُ جَلِيسُهُ، وَالصَّلَاةُ رَاحَتُهُ، وَمُنَاجَاةُ رَبِّهِ مُتْعَتُهُ، وَالدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ لَذَّتُهُ، إِذَا أَوَىٰ النَّاسُ إِلَىٰ بُيُوتِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ لَازَمَ هَذَا الْمُعْتَكِفُ بَيْتَ رَبِّهِ، وَحَبَسَ مِنْ أَجْلِهِ نَفْسَهُ، يَرْجُو رَحْمَتَهُ وَيَخْشَىٰ عَذَابَهُ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. وَالسُّنَّةُ لِلْمُعْتَكِفِ أَنْ لَا يَخْرُجَ إِلَّا لِلْحَاجَةِ الَّتِي لَابُدَّ مِنْهَا، وَلَا يَعُودَ مَرِيضًا، وَلَا يَمَسَّ امْرَأَةً وَلَا يُبَاشِرَهَا، وَلَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ، وَالسُّنَّةُ فِيمَنِ اعْتَكَفَ أَنْ يَصُومَ. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «زَادِ الْمَعَادِ»: وَشَرَعَ لَهُمُ الِاعْتِكَافَ، الَّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ، وَالْخَلْوَةُ بِهِ، وَالِانْقِطَاعُ عَنِ الِاشْتِغَالِ بِالْخَلْقِ، وَالِاشْتِغَالُ بِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ، بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ هُمُومِ الْقَلْبِ وَخَطَرَاتِهِ، فَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ بَدَلَهَا، وَيَصِيرُ الْهَمُّ كُلُّهُ بِهِ، وَالْخَطَرَاتُ كُلُّهَا بِذِكْرِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي تَحْصِيلِ مَرَاضِيهِ، وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ، فَيَصِيرُ أُنْسُهُ بِاللهِ بَدَلًا عَنْ أُنْسِهِ بِالْخَلْقِ، فَيُعِدُّهُ بِذَلِكَ لِأُنْسِهِ بِهِ يَوْمَ الْوَحْشَةِ فِي الْقُبُورِ حِينَ لَا أَنِيسَ لَهُ، وَلَا مَا يَفْرَحُ بِهِ سِوَاهُ، فَهَذَا مَقْصُودُ الِاعْتِكَافِ الْأَعْظَمُ.

وَالِاعْتِكَافُ مَشْرُوعٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ. أَمَّا الْكِتَابُ: فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾، وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَمِنْهَا حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا السَّابِقُ، وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَقَدْ نَقَلَهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمُ: ابْنُ الْمُنْذِرِ فِي الْإِجْمَاعِ، وَابْنُ حَزْمٍ فِي مَرَاتِبِ الْإِجْمَاعِ.